مع غزّة

أحمد الطراونة
النصّ الذي يُولد بعد السابع من أكتوبر

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أيام العدوان على غزّة وكيف أثّر على انتاجه وحياته اليومية، وبعض ما يودّ مشاركته مع القرّاء. «الكثير من الاوهام التي بدت لنا حقائق غيّرتها غزّة واهلُها»، يقول الكاتب الاردني لـ«العربي الجديد»

بطاقة

روائي وكاتب مسرحي اردني وُلد عام 1969، وحاز درجة الماجستير في إدارة الاعمال عام 2002. عمل صحافيا ومحرّرا في الصحافة الاردنية لسنوات طويلة، وهو احد مؤسّسي «الآن ناشرون وموزّعون» في عمّان عام 2013. صدرت له رواية «وادي الصفصافة» (2009)، التي نال عنها جائزة الدولة الاردنية التشجيعية سنة إصدارها، ورواية «خبز وشاي» (2016)، كما كتب للمسرح الاردني نصوصا عدّة، منها «فيسبوك»، و«منيفة»، و«العزوة».

عمّان ـ **العربي الجديد**

■ ما الهاجس الذي يشغلك هذه الأيام في ظلّ ما يجري من عدوانٍ إبادةٍ على غزّة؟

الأدب في حدّ ذاته مقاومة، القصيدة تُرس، الرواية رمح، الصورة اليوم سهمٌ قاتل يخترق صفوف العدو، لذلك لا بدّ من هذا الأدب الذي يحمل موقفاً مناهضاً، موقفاً من الحياة برمّتها، موقفاً من هذا الذي يجري على صفحات حياتنا اليومية، «يُخربط» حروفها ويعيد إنتاج مواقفها، ويرسم ملامح مستقبلها. الأدبُ اليوم حالة وعي وانتباه لما يُحاك، حالة استمرار في التبصّر ورؤية ما وراء المرئي، لذلك فإنّ العمل الفني أو الإبداعي الذي يخلو من الموقف هو عملٌ يخلو من أي إبداع، فلحظة التجلّي التي لا تقودها رؤية، هي وهْم في سياقات واهمة، فدور الأديب أن يُثير ما هو ساكن، وأن يُشعل النار في ما هو غير قابل للاشتعال بنظر العامّة حتى يأخذهم إلى هناك. ما سبق هو استنكار لا تقديم، لأن ما يجري اليوم لا يحتاج من إلى الانحياز بمعناه التقليدي، يحتاج إلى أن نكون في صلب المعركة، لأنها معركة وجود، وجودنا من عدمه، فعلى الأديب الذي يقف على الأعراف أن يعرف أنه خارج التاريخ، وأن ما يكتبه لا يمثّل سواه، فما يشغلني هو هؤلاء الكتبة الذين يستنسخون الروح العلقمية.

■ كيف أثّر العدوان على حياتك اليومية والإبداعية؟

العدوان على غزّة جرحٌ غائر في مكان لا يُمكن أن يُتعامل معه طبّياً، جرحٌ غائر في الروح، فكلّما استفزّت الروح ثقل الهمّ والوجع، وهذا بحدّ ذاته يستفزّ الإبداع الذي يستفزّ نكوص الحياة وبقاومه، من هنا يمكن القول بأن أجمل الإبداع ما اجتُرح وقت اشتداد الجرح، لذلك هذه لحظة استفزاز عالية، يمكن من خلالها تقديم الكثير لسردية كادت تغيب أو تتلاشى تحت وهْم الخوف ووهْم سيطرة الآخر ووهْم مركزية الوعي القادم من وراء المحيطات، والكثير من الأوهام التي بدت لنا حقائق غيّرتها غزّة، وأهل غزّة، وقدرتهم على الصمود الأسطوري الذي تجاوز كلّ ما يمكن أن يُسمّى إبداعاً. الكتابة اليوم على مقصلة الحقّ، إمّا لك وإمّا عليك، وعلى النصّ الذي يُولد بعد السابع من أكتوبر/ تشرين الأول أن يكون مُنذراً بقلق، وإلّا على صاحبه أن يُجهض.

■ إلى أي درجة تشعر بأن العمل الإبداعي ممكنٌ وفعّال في مواجهة حرب الإبادة التي يقوم بها النظام الصهيوني في فلسطين اليوم؟

كلمة الحقّ في وجه سلطان جائر، قد يبدو للبعض أننا لسنا بحاجة لِلَغو زائد في ظلّ هذا الموت المُطبق، لكن لا بدّ أن نقول: إن الأدب هو حامل، رافعة بأذرع لا تحصى، سرُّه أنه ينطق بعد أن تصمت كلّ الأشياء. قد لا نبدو اليوم بحاجة لأدب يُصوّر لحظتنا، لكنّنا بعد أن يُعاد ميزان الحياة وتستقرّ الأرض لا بدّ من حكواتي يقصّ سيرة بني هلال، أو حامل صندوق عجائب يُرسل لنا صور الدّم في بغداد لحظة استباحتها فنعيش الألم بعد زمن، وقد نحتاج بعد أن يُرتق جرحنا إلى من يُعيد لذاكرتنا الألم، الألم ذاته الذي عاشته غزّة منذ أن كانت، مروراً بكلّ هذا الطريق. هذا على صعيد الذاكرة، أمّا على صعيد المواجهة، فلعلّ رسائل الدحدوح كانت بقسوة صواريخ القسّام، وكاميرات المناضلين وتقاريرهم أقسى من كلّ قذائف الهاون، ولعلّ نصّاً هنا أو قصيدة هناك، أو صورة إخبارية، أو أغنية تجوب العالم هي بحجم قنبلة. نعم. للأدب بكلّ صنوفه دورٌ مُهمٌّ في المواجهة، وقدرة فائقة في إعادة الثقة في مشروعنا الذي انتزعته ذات يوم رقّة النصّ وتبعية هذا الأدب حين خرج من معسكر المقاومة إلى معسكر التسامح.

■ لو قيّض لك البدء، من جديد، هل ستختار المجال الإبداعي أو مجالاً آخر، كالعمل السياسي أو النضالي أو الإنساني؟

الإبداع، إن جاز لي أن أصف نفسي بهذه الصفة، هو جوهر كلّ ما سبق، لا يُمكن للسياسيّ أو المناضل أو مَن يعمل بأيّ نوع من أنواع العمل العام أن يعي جوهر وكُنه عمله ما لم يكُن يحمل في ذاته ذلك المبدع، أو ذلك الذي يرى ما لا يراه غيره، فالمُبدع الذي يخلق الموقف من كلّ شيء هو ذاته السياسي الحقيقي، أو القائد الفذّ، أو المناضل الصلب.

> الأدبُ حالة استمرار في التبصّر ورؤية ما وراء المرئي
>
> فشل العالم في التغيير وفشلت الإنسانية في امتحانها

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

فشل العالم في تحقيق أيّ تغيير، وفشلت الإنسانية في امتحانها، وفشلت الحقيقة في أن يكون لها وجه واحد، فقد تشظّت في مرآة المصالح والانحيازات القاتلة، لذلك لا أثق بهذا العالم الذي دنّسته هذه الحرب، وأجهزت على ما تبقّى من أمل في أن يكون هناك حقّ.

لكنّ الظلم قد يعيد إنتاج الصورة، وما أراه اليوم من تظاهرات تتسع في كلّ العالم، ظاهرها فلسطين، جوهرها هو الانفكاك من الظلم، الانفكاك من التبعية، وما حرب غزّة إلا مناحة تتذكّر فيها كلّ فئة ما فقدت، فتنوح على فقيدها، وما غزّة إلا عنوان. لذلك قلت إن الإنسانية قد فشلت في امتحانها، وأنها فقط تتذكّر ما وقع عليها، وليس بيدها أيّة قدرة على التغيير.

أحمد الطراونة

كلّها يقين بأن الموت ليس نهاية المطاف، وأنها بداية طريق الحقّ. «إن يمسسكم قَرْح فقد مسّ القوم قَرْحٌ مثله»، فلا ملاذ إلا الصبر، لكن أيّ صبر وأنتم من أعاد تشكيل ملامحه وخصاله من جديد.

■ كلمة تقولها للإنسان العربي في كلّ مكان؟

بعد السابع من أكتوبر تمّ لَجم النظام الرسمي العربي، وسقطت ورقة التوت، وانكشفت عورة المواقف والأيديولوجيات الفارغة، وأضحت مسارات التطبيع واستراتيجيات مسح ملامح فلسطين من الخريطة بلا رادع، وأصبح الشعب العربي كذلك بلا بوصلة، وسقطت الاتجاهات في بوصلة الوهم والخوف والتبرّد، وأصبحت الجهة الوحيدة التي تؤشّر إليها هذه البوصلة هي القدس، وهذا يعني أننا أمام منعطف تاريخي وجودي علينا أن نستغلها، فالانقسام على شفرة المقاومة قاتل. علينا أن نخلع خرقة الخوف التي ادمت ظهورنا، فهذا الذي نراه اليوم من حرب إبادة وتجويع وتهجير لشعب كامل يحتاج لموقف، لضمير، يحتاج لصدق في التعاطي مع هذا المشهد المهول للموت الذي يقع على أطفالنا وشيوخنا ونسائنا، علينا أن نخلع «قميص عثمان» وأن نخرج للشارع ببدٍ واحدة لنقول إننا هنا.

■ حين سُئلت الطفلة الجريحة دارين البيّاع التي فقدت معظم أفراد عائلتها في العدوان، ماذا تريدين من العالم، أجابت «رسالتي للناس إذا بيجيوا دارين يكتبوا لي رسالة أو أي إشي».. ماذا تقول لدارين ولأطفال فلسطين؟

لقد تجاوزتم الأنبياء بصبركم، وأدمت طائراتكم الورقية ضمير العالم، فلا ضير إن سقطت أطرافكم في طريق الحقّ، فهي بذار الجنان. رغم صمودكم بلا أجساد، إلّا أنكم أجدر منّا بالحياة.

معرض

إكسير الذاكرة هاني زُعرب في اللحظة الملحمية

لوحةٌ هي بدرجة ما حكاية

لا يلبث السرد في معرض التشكيلي الفلسطيني حتى يتوتّر ويدخل في مضاعفات الزمن ومضاعفات التطوّر، حتى يكشف عن لبّه التاريخي والملحمي

عباس بيضون

من يشاهد لوحات الفنّان الفلسطيني هاني زُعرب (1976) في معرضه الأخير «إكسير الذاكرة»، يشعر من الوهلة الأولى أنّه أمام لوحةٌ متكاملة. لوحة لا تملك فقط أسلوبها المتعدّد المسترسل المتتابع، بل إنّ هذا الأسلوب يستلهم لوحات عدّة من مراحل ومحطّات كثيرة، بحيث يتراءى لنا أنّنا أمام لوحات شتّى في لوحة واحدة.

يُمكن للمُشاهد أن يتبع اللوحة وهي تجمع بين ما يبدو سرداً وحكاية، مع ما يبدو غناءً لا يلبث أن ينكسر في دراماتيكية عالية، تنتقل فيها الحكاية والغناء إلى ما يبدو لحظة صراع، بل ولحظة تاريخ. يُمكننا هكذا أن نتكلّم عن سيولة أسلوبية، عن مغامرة لا تتوقّف عند حدّ واحد، بل تُزاوج وتقرن بين عناوين وطرائق، بل وفصول ولُمَع تأتي من جهات شتّى.

يمكننا هكذا أن نتكلّم، في أن واحد، عن تسطيح وتغور، عن غناء وسرد، عن تاريخ وتفاصيل ويوميات، عن منظور عميق ورسوم. يمكننا هكذا أن نجد فنّاً غايته الكبرى أن يراجع في اللوحة الواحدة ما يمكن اعتباره الفنّ كلّه، ما يمكن أن يبدو خلاصة للفنّ، وعملاً على إنتاج أمثولة فنّية.

نحن هكذا أمام تجريد حُرّ من نفسه، تجريد بكلّ معنى الكلمة، لكنّه يكاد ألّا يكون تجريداً. إنّه يسوق للتجريد ما يمكن استلهامه من أطوار فنّية ومراحل، وربما اتجاهات ومدارس. هكذا، يبدو التجريد وقد امتلأ واغتنى بسوابق عليه ومن حوله، وجارى، بطريقته هو وفاعليته هو، لوحات ومحاولات شتّى.

هكذا يمكن للتجريد أن يخرج من نفسه، مع بقائه فيها، ومع ما يبدو إغناءً لها وتطويراً وتجاوزاً. هكذا يسعى التجريد لوراثة الفنّ، هكذا يبدو نفسه وغيره في الوقت ذاته. هكذا، بلغته هو وفنّه هو، يتصدّى لمطالب وغايات وأغراض أُخرى، بلغته هو يتكلّم بلغات غيره، بفنّه هو يستدعي فنوناً ثانية وثالثة. هكذا لا نفتأ نتذكّر، ونحن نراه، مقاصد ووجهات سبقته أو جاورته. ما يعني أنّ اللوحة تبدو هكذا مشغولة بالفنّ كلّه، وهي تحاول، مع ذلك، أن تُنتج فنّها الخاص. لوحة هاني زُعرب تُشعرنا، أو على الأقلّ تشعرني أنا، أنّها تملك مشروعها الخاصّ. أنّ لها رؤاها، وأنّها، في سبيل ذلك تنتخب السعي فوق طرق ليست جاهزة لها، وليست بالدرجة نفسها، من بديهياتها. لا أعرف لماذا أشعر بأنّ هذه اللوحة، في سياقاتها وتفاصيلها، تكاد تخرج من نفسها. أو تستلهم جارات لها ذات وجهات حكائية. ليس في هذه اللوحة ما يُذكّر بالجداريات، لكننا مع ذلك نبقى في شعور بأنّ فيها روح الجدارية، أنّ فيها ما يكاد يكون استبطاناً لتاريخ كامل، بل إنّ فيها ما يمكن أن يكون قصّاً، وقصّاً متراكباً يجمع ما بين اللحظة الراهنة وبين استرجاعات من أزمنة أخرى. يمكن لذلك أن نفكّر بأنّ في هذه الحكاية ما يردّنا، من بعيد وبالفكرة وحدها، إلى نوع من الشعبية، إلى طاقة للحكي والسرد، إلى درجة من الرواية. أقول، من بعيد وبالفكرة وحدها، إنّها بذلك ذات ملمح شعبي.

> يتراءى لنا أنّنا أمام لوحات شتّى في لوحة واحدة

لوحة زعرب هي، بدرجة ما، حكاية. إنّنا، ونحن نراها، نتصفّح لحظات شتّى، وندور في منعطفات شتّى، ونسترسل في متابعة ذلك. خبراً على خبر، موضوعاً فوق موضوع. ثمّة استرسال في ذلك، وتعقّب وتساؤق وتتال، نشعر معها أنّنا نتصفّح هذه المحطّات، التي تندرج جميعها في استرسال حكائي. بل إنّ هذه النزعة للإبلاغ والحكي تجعل من اللوحة بكاملها صورةً تلو صورة، موضوعاً تلو موضوع، تجعل منها فنّاً يملك قصداً حكائياً، من هنا شعبيته الباطنة المستترة، لكن للوحة سياقاً آخر، وهي تحاول، مع ذلك، أن تُنتج فنّها الخاصّ، لوحة هاني زُعرب تُشعرنا، أو على الأقلّ تشعرني أنا، أنّها تملك مشروعها الخاصّ. أنّ لها رؤاها، وأنّها، في سبيل ذلك تنتخب السعي فوق طرق ليست جاهزة لها، وليست بالدرجة نفسها، من بديهياتها. لا أعرف لماذا أشعر بأنّ هذه اللوحة، في سياقاتها وتفاصيلها، تكاد تخرج من نفسها. أو تستلهم جارات لها ذات وجهات حكائية. ليس في هذه اللوحة ما يُذكّر بالجداريات، لكننا مع ذلك نبقى في شعور بأنّ فيها روح الجدارية، أنّ فيها ما يكاد يكون استبطاناً لتاريخ كامل، بل إنّ فيها ما يمكن أن يكون قصّاً، وقصّاً متراكباً يجمع ما بين اللحظة الراهنة وبين استرجاعات من أزمنة أخرى. يمكن لذلك أن نفكّر بأنّ في هذه الحكاية ما يردّنا، من بعيد وبالفكرة وحدها، إلى نوع من الشعبية، إلى طاقة للحكي والسرد، إلى درجة من الرواية. أقول، من بعيد وبالفكرة وحدها، إنّها إنّها، على نحو ما تاريخ؛ إذ إنّ للصور في تتاليها، في تساوقها وتتابعها، ما لا يشبه الحكاية فقط، بل ما يُشعرنا أنّ اللحظة حاضرة.

إنّ سياق اللوحة يكاد يكون سياق الوقت. عالم يتتابع بقوّة السرد وبقوّة الاسترسال والسيولة فيه. إنّه عالم يغني ويقصّ، لكن في السياق نفسه نجده يتوتّر ويتغور ويتعمّق. إنها لحظة ملحمية، الحكاية تتطوّر إلى أن تُصبح ملحمة، بل إنّ السرد لن يلبث حتى يتوتّر، حتى يدخل في مضاعفات الزمن، ومضاعفات التطوّر، حتى يكشف عن لبّه التاريخي والملحمي. إذ ذاك نفهم أنّ الحكاية تعقّدت وتحوّلت إلى عمق ملحمي، إلى لحظة ملحمية.

يُذكر أنّ المعرض أُقيم بين 21 نيسان/ إبريل و12 أيار/ مايو في «المتحف الوطني الأردني للفنون الجميلة» بعمّان، بالتعاون مع غاليري «ARTZOTIC» الرقمي.

(شاعر وروائي من لبنان)

هاني زُعرب أمام لوحاته في المعرض

قصائد

غداً نبيتُ في بيتنا وننسى كيف كانت المسافات لغةً أجنبية

نصٌّ واحدٌ بدون شوك

يخافون من أحلامهم/ أولئك الذين لا يعرفون معنى أن تنامَ/ وفي رأسكَ شجرتان... بينهما حبلٌ/ عليه ارجوحة/ وتحتها فكرة/ وفوقها ضوء

موقف الحجار

نبيتُ في بيتنا
غداً نبيتُ في بيتنا
غداً نصفحُ عن الطريق الذي
كان صخراً على ظهورنا
غداً نبيت في بيتنا
ونمسح الشبابيك بالتنهُّد الحَسَنْ
بالغمزِ نفتحُ الصباح
بالهمسِ نُقفل المساء
غداً نبيتُ
في بيتنا ونسى
كيف كانت المسافات لغةً أجنبية
كيف مرّقت دفاترَ عيشنا
نَسى كيفَ علّمتْنا أن نتخيّل النجاةَ
وفوقها ضوء.

■■■

أهلنا في البيت
لم يزالوا في بيتنا الصغير
أهلُنا ولم
نعدْ نحنُ فيهِ
صاروا شبابيكَ
وأبواباً وأكواباً
وصحوناً
وصرنا صُوراً على جدرانهم
صاروا عاداتنا في بيتِنا الجديد
وصرنا خيالَهم
صاروا قلقَنا من الموت
وصرنا قلقَهم من الموت
لم يزلوا في بيتِنا
ولم نزل في بيتِهم
أهلُنا وحدَهم
وكلُّ بيوت هذي المدينة دونَ أبنائها الصغار.

■■■

الكتابة من معجون أسنان الحياة
كلّ يوم
يخبرُني الطبيبُ بضرورة تفريش
أضراسِ الحياةِ الحادّة؛
تحتاجُ يومياً إلى التنظيف:
الدماءُ
تتخثّرُ بسرعةٍ تفوقُ سرعة الشروق

نَنسى أنّ ذلك الطريقَ هو الذي
أودى بنا
إلى بيتِنا

■■■

هدوء في البيوت
لا وقتَ للنظر في نافذة
لا وقت للنافذة إذا كانَ السقفُ
يُهدّدُني بالسقوط
الداخلُ يسمحُ لي بمعاينةِ الخارج
الداخلُ يمنعُني عنه
النافذة خدعة أخرى للحياة.

■■■

أحسب الأيّام بالقصائد
كلُّها قصيرة
كلُّها تجعلُني من
الموتِ أقرب
كلُّها تسألُني
كلُّها تحدثُ مَرّةً واحدة.

■■■

يخافون من أحلامهم
يخافون من أحلامهم
أولئك الذين لا يعرفون معنى أن تنامَ
وفي رأسكَ شجرتان...
بينهما حبلٌ
عليهِ أرجوحة
وتحتها فكرة

بطاقة

شاعر وباحث سوري من مواليد دمشق عام 1992، حاصل على الماجستير في الأدب المقارن من «معهد الدوحة للدراسات العليا». صدرت له مجموعتان شعريتان: «إنتروبيّة شعرية» في كوالالمبور بماليزيا عام 2019، و«مدينة مدينة حفرة في رأس» (2024). كما شارك في مجموعة قصصيّة بعنوان «The lockdown Chronicles» عام 2020.

والغروب
الأسنانُ لا يأكلُها الدود
لذلك ادفعْ النصوصَ التي تكشطُ الدماءَ
من علبةِ معجونِ الكلام
حتى آخر كلمةٍ لزجة
كلّ يوم.

■■■

اكتب القصائد كي
لعبةً بارعة؛
إذا وقعتْ كلمةٌ في قصيدة
ولم يكنْ لها فائدةٌ
ستخرجُ منها بعدَ أن تغرسَ شوكةً
في يدِ القارئ؛
لقد أصبحتُ يدي صبّارةً شهيّةً
أريدُ نصّاً واحداً بدون شوك.

فعاليات

حتى الثاني عشر من الشهر الجاري، تُعرض منصّة «افلامُنا» الرقمية الفيلم الوثائقي **خمس دقائق عن بيتي** للمُخرجة الفلسطينية **ناهد عوّاد**. يتناول الشريط (52 دقيقة) طريق مطار القدس الذي احتلّته قوّات الاحتلال وأقامت عليه حاجز قلنديا العسكري في نهاية ممرج المطار من الشرق، بحيث صارت الطريق غير نافذة.

في «مركز الفنون الدولي» بكوبنهاغن، يُفتتح، الخميس المُقبل، معرضٌ للفنّانين الفلسطينيّين **باسل عبّاس** و**روان ابو رحمة**، ويتواصل حتى 24 تشرين الثاني/ نوفمبر المُقبل. يضيء المعرض مفاهيم لطالما تمحورت حولها معظمُ أعمال الفنّانين: **الروح الجماعية**، و**فكرة الانتماء**، و**حقّ تقرير المصير** في لحظة يمارس فيها الاحتلال أقصى درجات الوحشية عبر الإبادة والتهجير.

يُعرَض في فرع «مؤسّسة شومان» ببجبل عمّان، عند السادسة من مساء غدٍ، فيلم **قصّة لشبونة** (1994) للمُخرج الالماني **فيم فيندرز**. يروي الشريط قصّة مُخرج يواجه مشاكل في إتمام فيلمه عن لشبونة، فيتّصل بصديق ليساعده، فيُقرّر هذا البقاء في المدينة لإكمال الفيلم، ولافتتانه بها وبالمغنّية البرتغالية تيريزا.

رسومات على ورق عنوان معرض للتشكيلي **منصور الهبر** يستضيفه غاليري «Art on 56th» في بيروت حتى التاسع والعشرين من حزيران/ يونيو الجاري. يجرّب الفنّان اللبناني في اعماله مواد مختلفة؛ مثل **الحبر والباستيل** و**الفحم والاكريليك**، والنتيجة رسومات تقوم على التوتّر والتناقض والاختباء والحدّة.

من سلسلة «اعدرني» لهاني زعرب، تركيب على جدار، 160 × 210 سم (2021)